

## « محمد »

للأستاذ علي الطنطاوي

منذ أربعة عشر قرناً ونيف ولد محمد ، فلم يكده يقطن الى ولادته إلا قليل ، وبعد أربعة عشر قرناً ونيف - استضاءت فيها الدنيا بنور محمد ، واهتدت الانسانية بهدى محمد - مرت بالدنيا ذكرى مولد محمد ، فلم يكده يقطن اليها إلا قليل ! بل لم يعرف بعد انسان من هو محمد !

\*\*\*

على ان العطاء في التاريخ كثير ، وقد عرفهم التاريخ ، ولكنه لم يعرف محمداً ، لأنه ليس فيهم مثل محمد ! عظمة أولئك انهم سبقوا أو انهم ، فمظنوا لسبقهم ، ثم جاء أو انهم فسواهم أبنائه جميعاً ، ثم جاء أو ان بعدهم ففاقهم أهله جميعاً ، ولم يبق لهم إلا عظمة الذكرى

وان التلميذ اليوم يعرف من الطبيعة أكثر مما كان يعرف جاليليو ، والضابط يعلم من فنون الحرب أكثر مما كان يعلم اينبال . وطالب الفلسفة يدرك من حقائقها أكثر مما كان يدرك أفلاطون . وكذلك سائر العطاء

أما محمد ففراز من البشر لا تحتمل الدنيا منه أكثر من واحد ، ولا تمتد عمرها حتى تربي مثل محمد ، فمحمد عظيم كل عصر ، وعظمته لا تبلى جنتها على الدهر .

\*\*\*

وان كثيراً من العطاء قد سنوا سنناً ، وشرعوا شرائع ، ولكنهم سنوها ناقصة نكملت ، وقاصرة على زمان واحد فعلت ، ومحدودة ضيقة فوسعت ، وما زالت أبدأ في حاجة الى التكميل والتوسيع والتمديد . أما شريعة محمد فجاءت كاملة ، وعاشت كاملة ، ومستخلدة كاملة ، لأنها من عند الله الكامل ، لا من عند العقل الناقص .

وستموت الشرائع كلها ، والمآقية لشريعة الله لأن روحية الشرق استطحن مادية الغرب ، ومادية الغرب ستقتل روحية الشرق ، ولا يبقى إلا الأضلع ، والأصلح هو الاسلام

أى دين غير الاسلام يستطيع المرء أن يتمسك بأحكامه كلها ، ثم يكون امراً صوفياً قوياً غنياً ؟  
أى دين غير الاسلام يعرف للبدن حق البدن ، وللروح حق الروح ، ويعرف للدنيا حقها ، وللآخرة حقها ؟

أى دين غير الاسلام فيه الوحدانية في الايمان ، والشورى في الحكم ، والاخوة في الحياة ، والجهد في المبدأ ، والقوة والاعتدال في كل شيء ؟  
أى دين غير الاسلام يحل المشكلة الاجتماعية الكبرى ، التي ولدت الشيوعية والفاشية والنازية ، وستلد الموت الأحمر ، والحرب الأكبر ؟

\*\*\*

إن العطاء كثير ، ولكن العظيم عظيم في فحية ، صغير في سائر النواحي ، فهو عظيم في العلم ، أو في الحرب ، أو في الأدب ، أو في السياسة . أما محمد فعظيم في كل شيء .  
وآثار العطاء في البشر واضحة جليلة ، ولكن لم يعمل أحد أجل ولا أجل مما عمل محمد .

نفخ في هذه البادية القاحلة ، وهذه الأمة المتفرقة الجاهلة ، فأخرج منها أمة قوية عالة عاملة .. حملت مشكاة النور ، في وقت عم فيه الظلام ، وبنورها اهتدى ويهتدى كل انسان ، في كل مكان الى آخر الزمان ، ولولا محمد ما كانت أوربة ولا الأميركتان !

\*\*\*

كانت الدنيا في نظر قريش مكة ، كما أن الدنيا في نظر الفرنسيين باريس ، ولكن دنيا محمد أوسع ، ومحمد لا تسعه مكة ، فأم غار حراء ليشرق على الأفق الواسع ، ثم سما على بمراج الى السماء ، فرأى الأرض كبراعة مضيئة ، فاستصفرها ، ولم يحفل بما عليها من ذرات هينة ..

هكذا عاش محمد ، وهكذا انتقل

عاش محمد في الأرض وهو أكبر من الأرض ، وترك في الأرض أثراً أكبر من الأرض ، ولم يعرفه في الأرض أحد من أبناء الأرض - ذلك لأنه كان كما قال لامارتين :

« فوق البشر ، ودون الاله ، فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم »

عبي الطنطاوي